Al-Mukhtar Journal of Social Science 43 (1): 08-29, 2025

Doi: https://doi.org/10.54172/r91nm632

Research Article

Open Access

مدينة درنة في كتابات الفرنسيين والإنجليز (1706-1811م)*

محمَّد محمود محمَّد عبيد الله[1]*، عبد الحميد رمضان أمغونن[2]*

الباحث الأول[1]*: قسم التاريخ، جامعة عمر المختار، البيضاء، ليبيا

الباحث الثاني[2]*: قسم التاريخ، جامعة عمر المختار، البيضاء، ليبيا

المستخلص: يهدف هذا البحث إلى دراسة مدينة درنة في كتابات الفرنسيين والإنجليز (1706–1811م)، وذلك من خلال التعرف على الخصائص الجغرافية والحضارية التي جعلت من درنة مقصداً للرحالة الأوروبيين، وكذلك التعرف على أولى الرحلات الاستكشافية الفرنسية للمدينة، ثم التعرف على أهم ما دونه قائد الأسطول الإنجليزي القبطان إدوارد بلاكيير Edward Blaquiere عن المدينة. وقد خلص البحث إلى عدة نتائج لعل أهمها هو تأكيد السبق الفرنسي في اكتشاف تفاصيل مدينة درنة بالنسبة للأوروبيين من خلال رحلة الفرنسي كلود لومير Claude Le Maire سنة 1706م.

الكلمات المفتاحية: درنة، الرحلات، الفرنسيين، الإنجليز.

[1]***Corresponding author:**
Muhammad Mahmoud Ubaidullah,
bidallamohamed@gmail.com
Department of History, Omar Al-Mukhtar University, Al-Bayda, Libya

[2]***Second Author:**
Abdul Hamid Ramadan Amghounen,
Department of History, Omar Al-Mukhtar University, Al-Bayda, Libya

Received:
26/04/2025

Accepted:
25/5/2025

Publish online:
30/06/2025

The City of Derna in French and British Writings (1706–1811)

Abstract: This research aims to study the city of Derna in the writings of the French and the English (1706-1811 AD), This is achieved by identifying the geographical and civilizational characteristics that made Derna a destination for European travelers, as well as identifying the first French exploratory voyages to the city, and then identifying the most important of which is without the captain of the English fleet, (Edward Blaquiere) about the city. The research has concluded several results, perhaps the most important of which is the confirmation of the French start in discovering the details of the city of Derna for the Europeans through the journey of the French (Claude Le Maire) in 1706 AD.

Keywords: Derna, Travel, French, English.

* هذا البحث في الأصل هو جزء من دراسة علمية (رسالة ماجستير) للباحث النجيب المرحوم عبد الحميد رمضان امغونن والذي قضى في فيضانات درنة في سبتمبر 2023، ما عُرف بإعصار دانيال، ولأن هذه الدراسة لم يكتب لها الله أن تكتمل وترى النور، فقد عقدنا العزم_ نحن (د. محمد محمود عبيد الله، أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بجامعة عمر المختار) والمشرف على رسالة المرحوم امغونن_ على لملمة ما أنجزه الباحث من مادة علمية وتهيئتها في شكل بحوث علمية ونشرها إكراماً لروحه الطاهرة.

The Author(s) 2024. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

المقدمة:

تُعد المعلومات التي دونها الرحّالة والمستكشفين والعسكريين الأوروبيين في كتاباتهم وتقاريرهم حول مدن وواحات برقة خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين من أهم المصادر التاريخية التي يمكن الاعتماد عليها في دراسة تاريخ هذه المدن والواحات، حيث تميز هذان القرنان بزيارة عدد من الرحّالة والقادة العسكريين من جنسيات مختلفة، لأغراض سياسية واقتصادية وعلمية، إذ كان هدف بعض هذه الرحلات التعرف على الموارد الاقتصادية والأوضاع السياسية في البلاد بغية التمهيد للتغلغل والاستعمار السياسي والاقتصادي فيما بعد، إضافة إلى البعثات العلمية والعسكرية للبحث عن الطرق والمسالك التي تؤدي إلى الدواخل الأفريقية، ولاشك أن هؤلاء الرحّالة والمستكشفين قدموا معلومات قيمة حول طبيعة المنطقة السياسية والاقتصادية، بصرف النظر عن الأغراض الحقيقية من وراء تلك الرحلات.

توسعت حركة الرحلات الاستكشافية في القارة الأفريقية مع تنامي النزعة الإمبريالية في أوروبا، حيث أدركت القوى الغربية أهمية الكشوفات الجغرافية في تنفيذ سياستها التوسعية وفعاليتها في تحقيق السيطرة السياسية والاقتصادية[1]، بناءً على ذلك تم توجيه الرحّالة الأوروبيين إلى مجاهل أفريقيا تحت مسميات عديدة وبدعم مباشر وغير مباشر من الملكيّات الحاكمة في أوروبا[2]، ومرّ أغلب الرحّالة القاصدين وسط أفريقيا وبلاد السودان وصحراء مصر الغربية بأقاليم طرابلس الغرب الثلاث (برقة– طرابلس– فزان) بحكم ارتباطها الجغرافيّ بتلك المناطق[3]، فمثّل بذلك القرن الثامن عشر الميلادي البداية الفعلية للرحلات الاستكشافية في طرابلس الغرب، وأقبلت بعثات الرحّالة الأوروبيين على سواحل إقليم برقة وتركزت جهود الرحّالة الأوائل حول مسألة تحديد الهويّة الجغرافية[4]، وتقديم المعلومات والتقارير عن المراكز الحضارية ووصف خطوط السير في الإقليم، وجمع المعلومات الطبوغرافيّة والأثريّة، لكي يتسنى للبعثات الاستكشافية الأوروبية دراسة مقوّمات الإقليم البرقاوي.

لذلك برزت أهمية المراكز الحضارية في برقة لدى الرحّالة الأوروبيين خلال القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر الميلادي، وذلك لاعتبارات عديدة أهمها ارتياب القوى الغربية من حالة الغموض وقلة المعلومات حول المدن والقرى البرقاوية خلال تلك الفترة، الأمر الذي دعا الملكيّات والمؤسسات العلمية الأوروبية لدعم البعثات الاستكشافية للعمل على جمع أكبر قدرٍ ممكن من المشاهدات والتقارير التي تدعم مساعي القوى الأوروبية الرامية لتكوين صورة أكثر وضوحاً عن تلك المناطق[5]، فخلال الفترات التي سبقت القرن الثامن عشر الميلادي اقتصرت معرفة الأوروبيين عن مدن برقة الساحلية على ما أوردته المصادر الأوروبية الكلاسيكية[6] وكتابات الرحالة العرب[7] من معلومات قديمة؛ وقد شكلت تلك المدن خلال الحكم العثماني الأول لإقليم برقة[8] أهم المراكز الحضارية في الإقليم، حيث مثلت مدينتي بنغازي ودرنة مراكز السلطة العثمانية في برقة من الناحية الإدارية والعسكرية، وتكوّنت فيهما العناصر المدنية في وقت مبكر إذا ما قارناهما ببقية دواخل الإقليم[9].

وبناءً على ما تقدم فإن هذا البحث سيسلط الضوء على مدينة درنة في كتابات الفرنسيين والإنجليز بين عامي (1706-1811م)، حيث اعتمدنا في كتابة هذا البحث على المنهج التاريخي القائم على جمع المادة من مصادرها الأولية المتمثلة في كتابات الرحالة والعسكريين الإنجليز والفرنسيين الذين عاصروا فترة البحث، وتحليلها ونقدها والمقارنة بين بينها من أجل الوصول إلى النتائج المرجوة، وذلك من خلال دراسة المحاور الآتية:

أولاً: الخصائص الجغرافية والحضارية التي جعلت من درنة مقصداً للأوروبيين.

ثانياً: الرحلات الاستكشافية الفرنسية لمدينة درنة.

ثالثاً: درنة في كتابات قائد الأسطول الإنجليزي القبطان إدوارد بلاكيير.

رابعاً: مقارنة بين الكتابات الفرنسية والإنجليزية عن درنة.

أولاً: الخصائص الجغرافية والحضارية التي جعلت من درنة مقصداً للأوروبيين:

تميزت مدينة درنة بخصائص وسمات جغرافية وحضارية جعلت منها مقصداً للرحالة الأوروبيين، ولمعرفة تلك السمات الخاصة بالمدينة لابد لنا من تسليط الضوء على جغرافية درنة وتطورها الحضاري لتبيان مدى تميزها الطبوغرافي وارتباطها الجغرافي بمحيطها، ومن ثم تتبع المعالم الحضارية داخل نطاق المدينة العمراني خلال القرن الثامن عشر الميلادي، حيث نشأت مدينة درنة على أنقاض مدينة دارنيس Darnis الرومانية التي تقع جغرافياً على الشريط الساحلي لإقليم برقة[10] فيحدها من الشمال البحر المتوسط، ومن الجنوب سلسلة من تلال الجبل الأخضر[11]، كما تعد المدينة مركزاً لبرقة الحمراء[12] وسط المناطق الأثرية والاستراتيجية بالإقليم، إذ يقع غرب درنة ولمسافة حوالي 90 كم سلسلة من المدن الأثرية (الأثرون Erythron- أبولونيا Apollonia- قورينا Cyrene- بلاغراي Balagrae)[13]، إضافة إلى ذلك فإن درنه تمثل مدخل لمناطق ذات أهمية استراتيجية تقع شرق المدينة مثل خليج البمبة Platea وهضبة مارماريكا Marmarica[14] أما من حيث الإحداثيات الفلكية فإن درنة تقع على خط طول 32.45 وخط عرض 22.40.[15]

بناء على ما سبق يمكن القول أن مدينة درنة تمتلك أغلب عوامل الاستقطاب الجغرافي بالنسبة للرحالة الأوروبيين، فالمدينة الواقعة وسط إقليم برقة في منخفض موازي لسطح البحر المتوسط تُعد همزة وصل ما بين المواقع الأثرية في الجبل الأخضر غرباً والمنفذ البري على الساحل البرقاوي لمناطق مرماريكا شرقاً، كل هذه السمات الجغرافية جعلت من درنة مدينة جاذبة للرحالة الأوروبيين، ولكي تكتمل خصائص درنة الطبوغرافية والحضارية لابد لنا من معرفة مقومات الجغرافيا الداخلية والمعالم العمرانية الموجودة في المدينة.

تنقسم مدينة درنة عمرانياً إلى أربعة أحياء سكنية وهي (بومنصور- البلاد- الجبيلة- المغار)[16]، ويشق المدينة إلى قسمين (شرقي وغربي) وادٍ كبير يُعرف باسم (وادي درنة) يمتد بطول حوالي 82 كيلو متر تقريباً يبدأ من مشارف (القيقب) جنوب غرب درنة وينتهي في ساحل المدينة[17]، إضافة إلى ذلك فإن درنة تمتلك منفذ

بحري يقع في الناحية الشرقية من نهاية وادي درنة، ويُعد ميناء المدينة البحري هذا من الموانئ البرقاوية القديمة التي تنشط منذ العهد البطلمي[18]، أما بنية درنة الجيولوجية فإنها تختلف نسبياً عن بقية مناطق برقة خاصة من ناحية جودة الموارد المائية، حيث تُعد المدينة من المناطق المشبّعة بالمياه الجوفية[19] فتغذي منابعها المائية أغلب أحيائها السكنية، فعين (البلاد) تغطي الشق الغربي من وادي درنة ومنطقة وسط المدينة عبر شبكة توزيع مائي تسمى محلياً باسم (الساقية)، أما عين (بومنصور) التي تنبع من شلال وادي درنة فإنها تغطي الشق الشرقي وحي بومنصور[20]. ومما يستحق الذكر أن وفرة المياه في درنة كانت عاملاً مهماً في تطور الزراعة بالمدينة، وهذا ما جعلها تتميز نسبياً في إقليم برقة من حيث الخصائص المدنية وتكوين الهوية الثقافية، كل هذه المقومات الجغرافية والطبوغرافية جعلت من درنة إحدى أهم الحواضر البرقاوية التي يتقاطر عليها الرحالة الأوروبيين منذ بداية القرن الثامن عشر الميلادي.

ثانياً: الرحلات الاستكشافية الفرنسية لمدينة درنة:

عُرفت الفترة الممتدة ما بين عامي (1705–1734م) بريادة الفرنسيين في البعثات الاستكشافية الأوروبية لإقليم برقة، ويمكننا القول إن كتابات الرحالة الفرنسيين تلك تشكل أولى الإشارات الأوروبية[21] عن الأوضاع العامة في المدن البرقاوية عموماً ومدينة درنة على وجه الخصوص، وهذا ما تؤكده دراسة الباحث الإيطالي ساندرو لورنزاتي Sandro Lorenzatti التي أشار فيها إلى السبق الفرنسي في اكتشاف تفاصيل مدينة درنة منذ عام 1706م[22]، وبتتبعنا للمصادر والكتابات الفرنسية الأولية المتخصصة في تاريخ البعثات الاستكشافية يتبين لنا أن رحلة كلود لومير Claude Le Maire خلال الفترة الممتدة ما بين عامي (1705–1706م) كانت بالفعل أولى الرحلات الأوروبية التي كشفت عن مجاهل الإقليم البرقاوي، حيث حظي لومير بتلك الفرصة بسبب عدة عوامل أهمها درايته بالثقافة العربية خلال عمله الدبلوماسي منذ عام 1683م في (القاهرة وتونس وحلب)، وعندما عمل قنصلاً لفرنسا في طرابلس خلال فترتين الأولى ما بين عامي (1686–1692م)، والثانية ما بين عامي (1703–1708م) كوّن سلسلة من العلاقات المحلية وتقرّب من رجال السلطة في طرابلس الغرب[23]، وهذا ما أظهرته لنا وثائق أرشيف مرسيليا Archives de Marseille التي عرضها لوران شارل فيرو Laurent Charles Feraud في الحوليات الطرابلسية Annales Tripolitaines، حيث إن المتتبع لمراسلات لومير يتضح له أنه شخصية اجتماعية بامتياز ذا علاقات محلية واسعة[24]، ويتبين لنا ذلك من خلال أدائه الدبلوماسي في طرابلس طيلة إحدى عشر سنة، فلومير من الشخصيات الدبلوماسية التي أرست المصالح الفرنسية في طرابلس وبرقة خاصة من حيث النشاط التجاري والبعثات التنصيرية، ناهيك عن عمله الرائد في مجال الكشوفات الجغرافية.

وقبل أن نستطرد في تفاصيل رحلة لومير الكشفية إلى مدينة درنة تتبادر إلى الذهن بعض التساؤلات، أهمها: **كيف ارتحل لومير بكل حرية في المدن البرقاوية؟ وهل تلقى دعماً من حكومة ولاية طرابلس؟، ومن هي الشخصية التي قدمت له تسهيلات للقيام بتلك الرحلة؟**، وللإجابة عن كل هذه التساؤلات لابد من

تتبع الفترة الممتدة فيما بين عامي (1702–1709م) وهي الفترة التي برزت فيها شخصية (خليل بك الأرناؤوطي) في سياسة فرنسا الخارجية، فبعد تولي (محمد الإمام داي) حكم ولاية طرابلس الغرب في عام 1702م، دعمت فرنسا خليل بك ليكون بمثابة الرجل الثاني في طرابلس[25] بل إن الأمر تعدى ذلك بوصوله لحكم الولاية خلال الفترة الممتدة بين عامي (1706–1709م) ويبدو أن هذا الدعم الفرنسي للأرناؤوطي كان مقابل تقديم التسهيلات لقنصلها بطرابلس لومير الذي أعلن خلال تلك الفترة عن تكليفه من الكونت ألكسندر لشراء جياد[26] من دينة درنة لتزويد اسطبلات إقليم ليموزين الفرنسي بفصائل الخيول البرقية الأصيلة[27]، ومما يؤكد هذه الفرضية أن لومير نفسه أثنى في كتاباته التي عرضها هنري أومونت[28] على دور الأرناؤوطي بك في رحلته وذكر في أكثر من مناسبة أن من مصلحة فرنسا أن يكون الأرناؤوطي والياً على طرابلس الغرب[29].

وإذا ما استقصينا في رحلة لومير نجد أنه قد تحصل بالفعل على رسائل توصية من طرابلس إلى درنة تفيد بتسهيل رحلته[30]، وبالفعل عند وصوله إلى المدينة في الخامس من مايو 1706م تم تكليف إحدى الشخصيات المحلية ويدعى (علي) بمرافقته والتعاون معه طوال فترة إقامته في درنة التي بلغت عشرة أيام، إضافة إلى ذلك تم توفير غرفة له في الحامية العثمانية بالمدينة[31]، وأمام كل هذه الظروف المواتية للعمل أورد لومير معلومات بالغة الأهمية، حيث ذكر أن المكون الاجتماعي في درنة ينقسم ما بين قبائل بدوية[32] غير مستقرة بسبب انشغالهم في تربية المواشي وأعمال الرعي خارج المدينة، وما بين بعض الأسر الأندلسية المستوطنة[33] حديثاً وتعمل غالبيتها في الزراعة والمعمار بالمدينة، كما وصف لومير القبائل في درنة بأنها ليست طيعة للنفوذ العثماني ووصف علاقتها بالحكومة بالسيئة، وفسر ذلك بسبب عدم التزامهم بدفع الضرائب المفروضة عليهم قسراً من السلطة العثمانية، كما أضاف أن تلك القبائل وعلى الرغم من أنها لا تملك التسليح المناسب والذي يقتصر عادة على السيوف والحراب والسكاكين إلا أنهم كانوا في نزاع شبه دائم خلال تلك الفترة مع جند الحامية العثمانية بالمدينة المسلحون بالبنادق وقطع المدفعية[34]، ومن الممكن أن تكون تلك المعاملة السيئة والتعسفية سبباً في تفضيل أغلب أبناء القبائل البدوية العيش بحرية في ضواحي درنة خارج إطار السلطة العثمانية.

إضافة إلى ذلك وصف لومير الأوضاع الاقتصادية في المدينة بأنها تقليدية، حيث ذكر أن السكان في درنة يجسدون مفهوم المجتمع الزراعي المعتمد على الفلاحة والرعي لتوفير المنتجات الغذائية للاستهلاك المحلي، إذ قسم لومير هذا المجتمع ما بين أسر أندلسية تقدس زراعة الأرض وتوفر بطبيعة الحال المنتجات الزراعية، وما بين القبائل البدوية التي توفر منتجات اللحوم من الأبقار والضأن والماعز والإبل بالإضافة إلى منتجات الجلود والصوف والألبان ومشتقاتها من السمن والزبدة، وتلك المنتجات عادة ما تغطي الاستهلاك المحلي في المدينة بسبب وفرة إنتاجها ويصدر الفائض منه خارج درنة وإقليم برقة إلى مصر كسلع للتبادل أو للبيع، وبالحديث عن النشاط التجاري في المدينة أورد لومير أن التجارة في درنة ترتكز على المنتجات المصرية والأفريقية التي تجلب عن طريق القوافل البرية، والمنتجات الأوروبية التي تستورد عبر ميناء درنة البحري الذي وصفه لومير بأنه منفذ

بحري جيد محجوز طبيعياً عن أمواج البحر[35]، ويتضح لنا في ضوء ما سبق أنه على الرغم من محدودية الوضع الاقتصادي في إقليم برقة خلال تلك الفترة وتصنيف لومير لمدينة درنة بأنها تنتمي للاقتصاديات التقليدية المعتمدة على الطلب المحلي، إلا إنه يمكننا القول إن درنة قد شهدت نشاطاً ملحوظاً عبر تصدير الفائض من منتجاتها الحيوانية إلى مصر، وفي المقابل رواج الواردات المصرية والأفريقية والأوربية في المدينة.

أما عن الحياة الثقافية في المدينة فقد لاحظ لومير تباين الممارسات الثقافية بين السكان، وفسر ذلك بالتنوع الاجتماعي الذي تعيشه درنة، ما بين ثقافة تنتمي للقبائل العربية ذات الحياة البدائية القاسية، وما بين ثقافة فئة عرقية عاشت حياة المدنية في السابق بشبه الجزيرة الأيبيرية، حيث تتبع لومير حياة القبائل البدوية الحادة التي تحاكي النظم التقليدية العربية المعتمدة على وصاية شيخ القبيلة على أفرادها، وعدم الإذعان لأي قوى خارجية وهذا ما يفسر عصيان أغلب القبائل البرقاوية للعثمانيين، كما أورد لومير أنه على الرغم من بساطة الحياة الثقافية للبدو إلا أنهم يملكون مجموعة من القيم والمعايير السلوكية المتأصلة في الإسلام، وملتزمون بالمظاهر الإسلامية وتقاليدها وممارساتها الدينية[36]، ومن جانب آخر أفاد أن الأسر الأندلسية أضفت على درنة سمة المدنية من خلال بعث الهوية الموريسكية في المدينة، وقد برز ذلك في تصميم البيوت والحدائق والنوافير التي تحاكي الثقافة الأندلسية في درنة خلال تلك الفترة، حيث ذكر لومير أنهم أدخلوا على المدينة مهارات جديدة في الزراعة والمعمار، وأعجب بتصميم البيوت المحاطة بعرائش العنب وشجيرات الموز، كما ذكر أن الأطفال في درنة يرتدون ثياب تقليدية تشبه الأزياء اليونانية (الهيماتيون[37])[38]؛ ومن خلال ما أشار إليه لومير عن الحياة الثقافية في مدينة درنة يلاحظ بالفعل أثر التعددية الإثنية على السمات الثقافية في المدينة والذي شمل أيضاً الوضع الصحي، حيث أورد لومير أنه خلال زيارته لدرنة كان هناك انتشار نسبي للطاعون بين الأهالي، غير أنه أشار إلى دخول برقة إلى مرحلة انحسار الوباء خلال تلك الفترة، كما تطرق لأساليب أهالي درنة للوقاية من الطاعون باستخدام أعشاب مثل: (الشونيز Nigella، وهليج كابلي Terminalia Chebula، والسيفيل Seville)، ومن خلال تلك الأسماء يبدو أنها نباتات دخيلة على إقليم برقة وزرعت حديثاً في المدينة وعلى الأغلب فإن مصدرها الأراضي الأيبيرية، ويضيف لومير أن الأهالي يقومون بطحن هذه النباتات ويدهنون بها مناطق الجسم المكشوفة من الملابس[39]؛ ومن الواضح أن الأهالي في مدينة درنة اهتموا بالتداوي بالأعشاب من خلال صناعة مركبات مشتقة من النباتات التي يزرعونها، وعلى الرغم من تمرس البرقاويين في مجال الطب التقليدي، إلا أن أهالي درنة اكتسبوا كفاءة وقائية إضافية لدرء الأوبئة.

بعد استعراضنا لرحلة لومير لدرنة التي واكبت واقع الأوضاع العامة في المدينة، وجب علينا الإشارة إلى أن مجمل رحلة لومير في ولاية طرابلس الغرب والتي امتدت فيما بين عامي (1705–1706) قد شملت محطات عديدة استهلت ببعض مدن إقليم طرابلس: (لبدة[40] ومصراتة وزليتن) ومنها إلى إقليم برقة بداية من سرت

فبنغازي، ومنها إلى مدينة درنة[41] التي انتقل منها ليجوب دواخل الجبل الأخضر: (قورينا ورأس الهلال وأبولونيا والقبة والأبرق[42]).

واستئنافاً لتجربة الريادة الفرنسية في الرحلات الكشفية لإقليم برقة خلال القرن الثامن عشر الميلادي، سنستعرض كتابات بعثة فرنسية لمدينة درنة خلال الفترة الممتدة ما بين عامي (1733–1734م) وهي رحلة جرانجيه، المكونة من شخصيات دبلوماسية وعلمية، ولكن قبل أن نستطرد في وقائع البعثة الفرنسية وكتابات جرانجيه عن مدينة درنة لابد لنا من التعريف بأعضاء البعثة الثلاث وتوضيح الظروف والملابسات السياسية المحيطة بتلك الرحلة.

نستهل تعريفنا بأعضاء هذه البعثة بالشخصية الأبرز التي أوردت في كتاباتها معلومات عن مدينة درنة، وهو الجراح وعالم الطبيعة كلود جرانجيه Claude Granger، وعلى الرغم من أن تاريخ ميلاده ليس معلوماً لكنه ولد في إقليم بورغندي شرقي وسط فرنسا، ونشأ وترعرع في مدينة ديجون التي درس بها الطب وتخصص في الجراحة، وفي نهاية العقد الأول من القرن الثامن عشر الميلادي انتقل للعمل في إقليم بروفنس جنوب شرقي فرنسا وهناك اكتسب سمعة طيبة كجراح وطبيب ماهر خاصة خلال فترة تفشي الطاعون في مدينة مارسيليا عام 1720م[43] وخلال عام 1721م التقى جرانجيه بأسقف الكنيسة الكاثوليكية في تونس الأب الإسباني فرانسيسكو غوميز[44] الذي كان يبحث عن طبيب لمستشفى الرقيق المسيحي في تونس، وبالفعل في عام 1723م وافق جرانجيه على شغل هذه الوظيفة واستقر بتونس طيلة خمس سنوات خلال الفترة الممتدة ما بين عامي (1723–1728م)[45]، وهناك تعرف عن كثب على صناع القرار الفرنسي في ولايات شمال أفريقيا العثمانية، وهذا ما ينقلنا للتعريف بالشخصيات التالية من أعضاء البعثة الفرنسية التي نحن بصدد تتبع رحلتها، حيث قابل في تونس بيير جان بينيون Pierre-Jean Pignon المستشار السياسي السابق لملك فرنسا لويس الخامس عشر والقنصل الفرنسي في تونس خلال تلك الفترة (1724–1729م) وتعرف عليه[46]، إضافة لذلك التقى جرانجيه بالمستكشف الجغرافي الشاب تشارلز ماري دي لا كوندامين[47] الذي أصبح أحد رواد علم الفلك فيما بعد[48]

بعد أن عرّفنا بأعضاء البعثة الفرنسية الاستكشافية، يجدر بنا التعرف على الملابسات السياسية التي كانت دافعاً وراء هذه الرحلة؛ فبعد أن أنهى جرانجيه عمله في تونس عاد إلى باريس في عام 1728م ليعمل مشرفاً على الحديقة الملكية للنباتات الطبية[49]، وفيما بعد عمل أستاذاً بقسم التاريخ بالأكاديمية الملكية للعلوم[50]، وفي العام نفسه الذي عاد فيه جرانجيه لفرنسا شهدت موانئها (مارسيليا وتولون) تحركات عسكرية واسعة بعثت من خلالها المملكة الفرنسية بأساطيلها البحرية إلى مدينة طرابلس كردّ فعل جراء أعمال القرصنة المتكررة على سفنها التجارية في البحر المتوسط، وانتهت تلك الأحداث[51] بعقد معاهدة سلام بين باريس وطرابلس في 9 يونيو 1729م[52] شملت تسعة وثلاثين بنداً[53] تصب غالبيتها في صالح الفرنسيين، وعلى إثر ذلك استغل الكونت موريباس جان فريديريك فيليبو Jean-Frederic Phelypeaux وزير الشؤون البحرية بنود هذه المعاهدة وكلف

بينيون الذي صار قنصلاً لفرنسا بمصر لتكوين بعثة استكشافية برئاسته تجوب مدن وقرى إقليمي برقة وطرابلس[54]، وبالفعل خلال عام 1732م رشح جرانجيه ودي لاكوندامين وتقرر إرسالهما إلى طرابلس في السنة التالية، وفي الثاني من أغسطس 1733م كانت البعثة الفرنسية قد وصلت إلى مدينة طرابلس بحراً والتقوا بالوالي أحمد باشا القرمانلي وأبلغوه أن رحلتهم هذه بناءً على تكليف من ملك فرنسا لويس الخامس عشر، وفي معرض حديثهم مع باشا طرابلس حددوا أهداف رحلتهم بأنها علمية غرضها تجميع عيّنات نباتية لمؤسسات البحوث الفرنسية المتخصصة في العلوم الطبيعية، إضافة إلى ذلك ذكروا أن البعثة تهدف إلى توريد فصائل من الخيول البرقية لفرنسا، ووفقاً لذلك تحصلوا على الموافقة من أحمد باشا ومنحهم رسائل توصية لابنه محمد باي في مدينة درنة، ولكن في حقيقة الأمر كانت هناك أهداف غير معلنة لتلك الرحلة تتمثل في عدة جوانب أولها تكملة الملاحظات التي أوردها لومير، ومن ثم تجميع بعض النماذج الأثرية للأكاديمية الملكية للنقوش والفنون الجميلة[55]، بالإضافة إلى تدوين وجمع المعلومات عن الموارد والمقومات الطبيعية لمدن الإيالة[56].

تلك كانت الخلفيات السياسية والمكامن العلمية للبعثة الفرنسية، والأن يتعين علينا طرح كتابات جرانجيه عن مدينة درنة، فبعد أن وصلت البعثة الفرنسية إلى مدينة بنغازي في السابع عشر من أغسطس سنة 1733م، أقاموا بمعية السيد بوتيون Pouttion القنصل الفرنسي بالمدينة حتى السادس والعشرون من نفس الشهر، وبعد ذلك اتجهوا إلى درنة بحراً ولكن بسبب سوء الأحوال الجوية رست سفينتهم على شواطئ (رأس التين) شرقي درنة بحوالي 60 كم بعد ستة أيام من إبحارهم، وهناك تفرقت البعثة الكشفية إلى مجموعتين، حيث واصل بينيون ودي لاكوندامين رحلتهم إلى مدينة الإسكندرية، وتوجه جرانجيه بمفرده إلى مدينة درنة متخفي بزي عربي، وفي تمام العاشرة صباحاً وصل إلى المدينة بتاريخ الرابع من سبتمبر 1733م، ومن سوء حضه وجدها تعيش في وضع سياسي مضطرب بسبب انتشار الفوضى والعصيان منذ أربعة أيام قبل وصولة، حيث أعلنت قبيلة العبيدات خلال تلك الفترة تمردها على سلطة باي برقة محمد القرمانلي، وكان زعيم هذا التمرد شخصية محلية تدعى (الزير العبيدي) الذي يقود حوالي ثلاثة آلاف مقاتل من بطون قبيلته، وبعد أن وصل إلى دار البلدية وسط المدينة أعطى جرانجيه لمحمد باي وفي حضور ديوان المدينة وشيوخها رسائل التوصية التي بعثها أبيه أحمد باشا القرمانلي، والتي تفيد بتقديم كافة التسهيلات للموفد الفرنسي رفيع المستوى في جمع بعض العينات النباتية وتوريد جياد درنة الأصيلة إلى فرنسا، وتبعاً لذلك أكرموا وفادته بالمدينة وتقرر توفير شحنة الأحصنة المحلية المطلوبة في أسرع وقت ممكن، وتعهد الباي بتقديم الرعاية اللازمة له وتسهيل كافة متطلباته داخل نطاق المدينة الجغرافي[57]

وبالعودة إلى الوضع السياسي في درنة خلال زيارة جرانجيه لها نجده قد أوضح لنا سبب حالة العصيان التي تعيشها المدينة، حيث علّل ذلك بحادثة مقتل مأمور الضبطية بدرنة الذي بُعث لقبيلة العبيدات بسبب مماطلتهم في دفع الضرائب المتأخرة عليهم، وبعد أيام حضر شيخ هذه القبيلة إلى دار البلدية ليحل المشكلة فقام

الكيخيا وكيل الباي بقتله، فثار العبيدات على حكم محمد القرمانلي وهرب الكيخيا إلى أحد المساجد في وسط المدينة ليحتمي منهم وبسبب قدسيّة المساجد لديهم بطبيعة الحال ذهبوا إلى دار البلدية وحاصروها بألفين مقاتل بقيادة الزير الذي طلب القصاص بقطع رأس الكيخيا ودفع الديّة التي حددها بألفين قطعة من الذهب، ولكن مع رفض محمد باي مطالبه بدأت سلسلة من النزاعات المسلحة بينهم استمرت عشرة أيام، وفي فجر اليوم العاشر من الصراع هرب الكيخيا بحراً عبر سفينة رست على سواحل درنة قادمة من طرابلس وغادرت الميناء في العاشر من سبتمبر 1733م، وعقب تلك الأحداث عزل الوالي أحمد باشا القرمانلي ابنه محمد باي برقة وعين ابنه الثاني محمود باي بدلاً عنه، وعلى الرغم من ذلك ظلت مدينة درنة تعيش حالة من العصيان حتى شهر أكتوبر من العام نفسه، وهي الفترة التي استقر فيها الباي الجديد في درنه ووطد حكمه بها[58].

أما عن الأوضاع الاقتصادية في درنة فقد ذكر جرانجيه أن المدينة تعيش في حالة رخاء اقتصادي، بسبب استغلال سكانها للمقومات الطبيعية وتسخيرها لتعزيز النشاط الزراعي والصناعي بالمدينة، حيث أشار بأن الأهالي يزرعون أنواعاً عديدة من الفواكه خصوصاً العنب الذي يزرع بكميات كبيرة في بساتين المدينة ويتم استغلال انتاجه الوفير في صناعة النبيذ، إضافة إلى ذلك فقد ذكر توفر أنواع مختلفة من التمور والتين الذي يغطي الطلب المحلي لدرنة وضواحيها[59]، كما ذكر جرانجيه أن الأهالي ينتجون محاصيل زراعية لم تكن معروفة حتى في فرنسا مثل الذرة البيضاء، ولاحظ أن مُزارعيّ درنة لديهم حلول مبتكرة في عملية تسريع نمو بعض المحاصيل الزراعية مثل التمور والتين، وفي المجال الحرفيّ لاحظ جرانجيه أن السكان في درنة يعتمدون على الطواحين المائية والهوائية في طحن الحبوب من القمح والشعير وبعض البقوليات، هذا بالإضافة إلى عملهم في الصناعات المعتمدة على المشغولات اليدوية مثل الحُليّ والأدوات المصنوعة من الحديد والرصاص ونسج الصوف وحياكة الملابس وصبغها باللون الأحمر باستخدام نبات الفوّة الصبغية، علاوة على ذلك وجد رواجاً في صناعة الشمع والسمن الحيواني.

كل هذا النشاط الزراعي والصناعي في مدينة درنة أدى بطبيعة الحال إلى نمو الحركة التجارية المحلية والخارجية وارتفاع معدلات الاستيراد والتصدير بالمدينة، وبالنظر إلى تعداد سكان درنة من خلال إحصاء جرانجيه عام 1733م نجده قد حدد عددهم بنحو ألفي نسمة، وذكر أن غالبيتهم يعملون في التجارة بالجملة والتجزئة إما عن طريق عمليات تبادل البضائع (المقايضة) أو البيع النقدي، وهذا يدل على نشاط الحركة التجارية بالمدينة، كما أشار إلى اتساع نشاط حركة التصدير، حيث أورد جرانجيه أن درنة كانت تصدر عبر مينائها منتجات صناعية عديدة مثل الصوف والشمع والسمن سنوياً إلى إسطنبول، بالإضافة إلى الرقيق الذي كان يصدر إلى أوروبا، وأكد على انتظام النشاط الملاحي بين ميناء درنة وموانئ جزيرة كريت، كما كانت الأغنام والجلود تصدر إلى مصر، وفي المقابل كانت المدينة تستورد بعض المواد المعدنية (الحديد والرصاص) من قوافل الحجيج المغربية التي تمر عبر المدينة شبه سنوياً، وفي ضوء ذلك وصلت إيرادات السلطة القرمانلية

التي تجبيها من مدينة درنة إلى خمسة آلاف وسبعمائة ليرة سنوياً، هذا بالإضافة إلى ما يُجمع من القبائل والتي تُقدر بحوالي ثلاثة عشر ألف قرشاً، ولكن ليس بصفة دورية بسبب عدم التزام القبائل بدفع الضرائب السنوية، كما رد جرانجيه مصادر دخل أخرى للمدينة يستفيد منها الباي تكمن في عمليات القرصنة البحرية، حيث كان محمد القرمانلي يستأجر بحّارة فرنسيين مقيمين في درنة ليقودوا بسفنهم عمليات القرصنة ومنهم جيرارد Gerard وروم Rhum، ويحدثنا جرانجيه عن هجوم بحري صادفه أثناء إقامته في درنه قام به قباطنة من ليفورنو كردّ فعل جراء أعمال القرصنة على سفنهم، حيث هاجمت سفن ليفورنو ميناء مدينة درنة وقتلوا اثنين من السكان وأخذوا أربعة من الرقيق كانوا بالميناء، وطالبوا الباي بدفع مائتي قرش كتعويض، ولكي يؤمن محمد باي هذا المبلغ فرض على الأجانب المقيمين بالمدينة جمع تلك القيمة لهم[60].

وإذا ما تتبعنا كتابات جرانجيه عن الأوضاع الصحية بدرنة نجد أنه لم يذكر أي أضرار صحية أو بيئية في المدينة، على الرغم من أنه أثناء إقامته بها أصيب بمرض حساسية العين Eye Infections وعانى منه على مدى سبعة أيام[61]، ولكن يجدر القول أن هذا النوع من الأمراض ينجم بسبب عدوى فيروسية ماء ملوث أو ميكروبات في الهواء، وعلى ما يبدو أن هذا المرض لم يكن منتشراً بين السكان وأنه موسمي وليس واسع الانتشار، عليه يمكننا أن نستقي من ملاحظات جرانجيه أن الأوضاع الصحية في درنة أثناء مكوثه بها كانت جيدة.

ومن خلال البحث والاستقصاء في كتابات المبعوث الفرنسي جرانجيه نجد أنه اتبع استراتيجية مماثلة لرحلة (لومير) في اتخاذ مدينة درنة كنقطة انطلاق وعودة ليجوب دواخل الجبل الأخضر، حيث استعان بأحد الشخصيات المحلية ليرشده إلى مناطق (الأثرون، رأس الهلال، أبولونيا، قورينا)، وعاد منها إلى درنة ليرسل سجلات الملاحظات الأثرية التي دونها عن تلك المناطق، كذلك بعث شحنة الخيول المطلوبة وصناديق العيّنات النباتية التي توجد بها مجموعة من بذور بعض النباتات وجذور البصل الأخضر والفوّة الصبغية التي أخذها من بساتين درنة، وفي مجمل رحلة جرانجيه التي استغرقت ما يقرب أحد عشر شهراً شملت محطات عديدة من إقليم برقة ولم تقتصر فيها كتاباته عن مدينة درنة التي أقام بها مرتين، بل زار مدينة بنغازي وخليج سرت، ومناطق من إقليم طرابلس مثل (مصراته، مسلاته، لبدة، بن وليد). وتجدر الإشارة إلى أن جرانجيه كان أول من استخدم مصطلح (ليبيا) كمدلول جغرافيّ[62] يعبر عن أقاليم إيالة طرابلس الغرب الثلاث (برقة– طرابلس– فزان)، وفي ختام حديثنا عن كتابات جرانجيه لابد لنا أن نشير بأن الرحالة الفرنسي كان من رواد المستكشفين الأوروبيين الذين ارتحلوا في عدة بلدان عربية تضمنت مصر وتونس وبلاد الشام وأخيراً العراق التي مات بها في التاسع والعشرين من يوليو عام 1737م إثر ضربة شمس أصابته في صحراء البصرة التي دفن بها[63].

بعد دراستنا لرحلة جرانجيه تأكد لنا ريادة الفرنسيين الكشفية لمدن إيالة طرابلس وإقليم برقة بصفة عامة ومدينة درنة بصفة خاصة خلال القرن الثامن عشر الميلادي، ومن الملاحظ استغلال الفرنسيين لبنود

المعاهدات السياسية المبرمة بين باريس وطرابلس في إيفاد بعثات الرحالة، واهتمام صناع القرار في فرنسا بالكشف على المناطق المجهولة في الجانب الآخر من البحر المتوسط، لذلك تمثل كتابات جرانجيه معلومات استخباراتية في غاية الأهمية لفرنسا، فبالنظر إلى ما أورده جرانجيه عن الأوضاع العامة في مدينة درنة، نجد أنه قد ركز على الجانب السياسي والاقتصادي للمدينة واستعرض تفاصيل النزاعات الداخلية والخارجية التي واكبها خلال فترة إقامته، وبحث في الوسائل الاقتصادية المختلفة للنشاطات الزراعية والصناعية والتجارية، كما عمل على إبراز مشكلة القرصنة البحرية في درنة وما رافقها من أزمات أثرت على المدينة، هذا بالإضافة إلى أن جرانجيه رصد وجود بعض الجاليات الأوروبية في درنة، وقدم أول تعداد سكاني للمدينة وطرح إشارات مقتضبة عن الحالة الصحية في درنة ولم يرصد أية أمراض وبائية.

ثالثاً: درنة في كتابات قائد الأسطول الإنجليزي القبطان إدوارد بلاكيير:

إن تلك الكتابات والإشارات التي زودتنا بها مدونات الرحالة الفرنسيين قد رسمت لنا جزءاً من الصورة العامة في مدينة درنة خلال القرن الثامن عشر الميلادي، وبالتالي فإننا سنحاول استكمال بقية هذه الصورة من خلال تتبع مدوّنات أوروبية أخرى؛ فمنذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي اشتد التنافس الأنجلو– فرنسي في مجالات عدة كان من ضمنها حقل الكشوف الجغرافية، حيث لاحظ الإنجليز النشاط المحموم الذي يبذله المستكشفين الفرنسيين في هذا الجانب[64]، وعلى إثر ذلك اهتمّت لندن بكسب مناطق نفوذ في أفريقيا بوجه عام واكتشاف مدن ومراكز إيالة طرابلس الغرب على وجه الخصوص، ولكي نفهم حجم الاهتمام الكشفي الإنجليزي سنُعرّج على جانب من جهود المملكة البريطانية في بعث رحالتها إلى إقليم برقة خلال تلك الفترة، حيث استهلت إنجلترا نشاطها برحلة جيمس بروس James Bruce فيما بين عامي (1766–1767) والذي زار بعض المواقع الأثرية بالإقليم في كل من توكرة وطلميثة بالإضافة إلى مدينتي بنغازي واجدابيا[65]، وبعد تصاعد الاهتمام الكشفي الإنجليزي أُنشئت عام 1788م جمعية لندن الجغرافية[66] London Geographical Society، والتي بعثت الرحالة الساكسوني فريدريك هورنمان Frederick Horneman الذي زار في أواخر سبتمبر من عام 1798م واحات الجنوب البرقي (أوجلة وجالو)[67]، أما درنة فقد سلطت الأحداث البحرية التي جرت على سواحلها[68] الضوء على دراسة القدرات العسكرية القرمانلية، وعلى هذا الأساس عيّنت البحرية الملكية البريطانية British Royal Navy القبطان إدوارد بلاكيير Edward Blaquiere قائداً للأسطول الإنجليزي في البحر المتوسط خلال تلك الفترة الممتدة ما بين عامي (1810–1811م)، وأتاح هذا النصب له فرصة التواصل مع مدينة درنة، وأورد في ملاحظاته معلومات بالغة الأهمية عن الأوضاع العامة بالمدينة، ولن قبل الخوض في كتابات بلاكيير يتعين علينا التعريف بهويته.

ولد بلاكيير بمدينة دبلن عام 1779م لعائلة ايرلندية نبيلة، فوالده هو جيمس بلاكيير (1726–1803م) المقدم في فوج التنين الثالث عشر Th[13] Dragoon Regiment بالقوات المسلحة الملكية البريطانية، وعلى خطى والده

دخل بلاكيير للبحرية الملكية، وفي الأول من أغسطس 1798م شارك في معركة (أبو قير البحرية)[69]، وخلال سبتمبر من العام نفسه خدم تحت قيادة الأدميرال هوراشيو لورد نيلسون Horatio Lord Nelson[70] كضابط على السفينة الحربية (HMS Vanguard) حتى شهر سبتمبر 1800م، كما انخرط بلاكيير في حصار مالطا وأبلى شجاعة وتفاني خلال عمله حتى تمت ترقيته إلى رتبة ملازم ثان بتاريخ 20 يوليو 1801م، وساهم بلاكيير في معركة (الطرف الأغر)[71] البحرية وتمت ترقيته إلى رتبة ملازم أول بتاريخ 21 أكتوبر 1805م وفي العام نفسه انتقل للعمل في القاعدة البريطانية بجزيرة صقلية، حتى عيّنته البحرية الملكية خلال عام 1810م قبطاناً على الأسطول البريطاني في البحر الأبيض المتوسط وبقي في هذا المنصب حتى أواخر عام 1811م، ومن هنا دون بلاكيير في كتاباته بيانات عن الأوضاع العامة في مدن إيالة طرابلس الغرب ومنها درنة في خمس رسائل مؤرخة بعام 1811م[72].

كتب بلاكيير عن الأوضاع السياسية والعسكرية في درنة، حيث أفاد أن المدينة تمثل إحدى أهم مراكز برقة الإدارية، وذلك لوجود مقر الحكومة القرمانلية بها، وذكر أنه عادة ما تكون المدينة محل إقامة أحد أبناء يوسف باشا القرمانلي، كما أورد أن دفاعات درنة العسكرية تتكون من خمس قطع مدفعية، ولكن تحصينات المدينة متهالكة وأجزاء من أسوار الحامية العسكرية محطمة، وتتألف من مائتين إلى ثلاثمائة جندي تقريباً، كما عرض بلاكيير في كتاباته أن فرنسا كانت أولى القوى الأوروبية التي أدركت أهمية درنة العسكرية، وذلك عبر الكونت هونريه جوزيف أنطوان جانتوم Honore Joseph Antoine Ganteaume نائب الأدميرال الفرنسي، الذي كان يخطط للنزول بسرّبه البحري إلى المدينة لاستغلالها في تموين الحملة الفرنسية على مصر من خلال توريد المواد الضرورية وبالأخص الغذائية منها، وتأمين الخدمات البريدية، وذكر بلاكيير أنه لولا فشل الكونت جانتوم في تلك المهمة لكان إقليم برقة الآن مستعمرة فرنسية[73]، أما عن السياسة الداخلية للحكم القرمانلي فذكر بلاكيير أن شيوخ القبائل الذين تحت السيادة القرمانلية يتمتعون بسلطات إدارية غير محدودة وفي المقابل هم مسؤولون عن فرض وجمع الضرائب على العامة من الناس، ودرنة كمدينة ساحلية كان بها ضابط للبحرية وقائد للحامية العسكرية، بالإضافة إلى الديوان الذي كان يضم بعض الشخصيات المحلية المقربة من السلطة القرمانلية، وأغلبية من الشخصيات ذات الطابع المدني أو السياسي، علاوة على المفتي المسؤول عن الجوانب الدينية والقضائية[74].

وإذا ما استعرضنا كتابات بلاكيير عن الأوضاع الاقتصادية في درنة نجده يشير إلى أن المدينة تمتلك المقوّمات الأساسية في إنتاج السلع الاستهلاكية والصناعات الخفيفة، واستغرب أن إنجلترا لم تؤسس منشأة تجارية لكي تستغل تلك الإمكانيات، فالنشاط الزراعي في المدينة كان نشطاً خصوصاً في إنتاج الليمون الذي ذكر أن سعره أقل بنسبة 50% من أسواق صقلية، وذكر أن وفرة المنتجات الزراعية تلك أدت إلى رواج المنتجات المقطرة (الخلّ والنبيذ)، كما أشار إلى أن سواحل المدينة تمتلك ثروة سمكية ذات جودة عالية مماثلة

للبلدان الأوروبية المطلة على البحر المتوسط، وأن خصوبة الأراضي الزراعية في درنة ومحيطها ساعد في وفرة الثروة الحيوانية، حيث توفر المدينة أنواع جيدة من الماشية (الضأن والماعز) تصدرها سنوياً إلى الإسكندرية وسردينيا ومالطا، فضلاً عن نشاط تربية وبيع الخيول والبغال، فتجار درنة يبيعون مائتان وخمسون منها سنوياً لبلدان أوروبا المتوسطية،، وذلك بسبب جودة نسلها وقلة ثمنها، فخيول درنة أرخص بـ50% من الخيول المعروضة في إسطبلات أوروبا، وذكر أيضاً أن أصحاب الحرف في درنة ينتجون سلع جلدية من الماعز وملابس صوفية ملوّنة، حيث يتم استغلال واردات موسم جزّ الصوف السنوي بضواحي المدينة للاستفادة منها في تلك الصناعات، أما تلوينها فيتم باستخدام أصباغ طبيعية يستخرجونها من نبات الفوّة الصبغية المنتشر بدرنة، هذا بالإضافة إلى رواج صناعة السمن الحيواني، وكانت الحركة التجارية في المدينة نمطية كغيرها من مراكز الإيالة، فدرنة تعد محطة تجارية تمر عليها شبه سنوياً قوافل الحجيج القادمة من البلدان المغاربية، التي توفر للمدينة المنتجات المعدنية المصنعة من الذهب والفضة والنحاس مثل الحُليّ والأدوات، وفي المقابل يوفر تجار درنة منتجاتهم المحلية وبضائع السودان الأوسط مثل الرقيق والعاج وريش النعام، ولا تعتمد المدينة على التبادل التجاري الموسمي الذي توفره الطرق البرية فقط، بل إن السفن الإيطالية والإنجليزية المتجهة للبحر الأحمر تمر عبر مينائها بشكل منتظم محملة بالمنتجات الأوروبية مثل بعض الأنواع من الأقمشة الناعمة والأغطية الصوفية، بالإضافة إلى السكر والبن والعقاقير الطبية[75]، وقدر بلاكيير القيمة التجارية لمدينتي (بنغازي ودرنة) خلال عام 1811م بحوالي اثنان وعشرون ألف دولار إسباني، وأوصى بأن إنجلترا لابد أن تستثمر جهودها السياسية والاقتصادية في دعم التمثيل الدبلوماسي وزيادة حجم التبادل التجاري مع مدن برقة الساحلية لتنافس النفوذ الفرنسي في تلك المناطق، عبر الترويج لمنتجاتها واتخاذ وسائل أخرى لنشر المدنيّة بها[76].

لم يدوّن بلاكيير الكثير عن الحياة الاجتماعية والثقافية والصحية في درنة، واكتفى بعرض تقديرات عن التعداد السكاني للمدينة خلال عام 1811م حيث قدرهم بحوالي ستة آلاف نسمة، ولم يتطرق للبيئة الاجتماعية في درنة، لكنه أسهب في الحديث عن تأثير العقيدة الإسلامية في الجانب الثقافي، فذكر أن الدين الإسلامي لدى أهالي برقة بصفة عامة يساهم بشكل أساسي في بلورة ثقافتهم، إضافة إلى ذلك تناول الجاليات العربية والأوروبية المقيمة في درنة وجنسياتهم، فأورد أن المدينة تحوي على بعض المهاجرين من تونس والمغرب الذين استقروا بدرنة، وأضاف بلاكيير أن من بين الجاليات الأوروبية المستقرة في المدينة بعض العائلات المالطية والفرنسية، وأورد أيضاً بعض المعلومات عن الأوضاع الصحية في درنة، حيث ذكر أن المدينة تكاد تخلو من الأوبئة كالطاعون والجدري، ولكن في المقابل تنتشر فيها بعض الأمراض الموسمية[77].

وفي ختام دراستنا لمجمل كتابات بلاكيير لاحظنا تأثير مهمته العسكرية في تدوينه للأوضاع العامة، حيث ركز على تسليح المدينة وتحصيناتها العسكرية، كما أوصى بأهمية استغلال موقع المدينة الاستراتيجي عسكرياً،

فقد أعطى في أكثر من مناسبة توصيات بضرورة إنشاء قاعدة بحرية في درنة لحماية مصالح إنجلترا شرقي المتوسط، وخلال تناوله للأوضاع الاقتصادية في المدينة اهتم بعرض السلع التي تستهلكها البحرية الملكية، إضافةً إلى ذلك فإن مراسلات بلاكيير قد تخللتها توصيات للندن بضرورة تعزيز نفوذها السياسي والاقتصادي في مدن الإيالة الساحلية للحد من الهيمنة الفرنسية بالمنطقة، كما أكد بلاكيير على وجوب تكثيف عمليات التنقيب الأثري وتعزيز معرفة الرحالة الإنجليز بدواخل الإيالة ليتسنى لهم الكشف على العمق الأفريقي؛ ومن المهم التنويه إلى أن ملاحظات بلاكيير قد شملت مدن ومناطق عديدة في أقاليم (برقة– فزان– طرابلس)، حيث أورد المبعوث الإنجليزي معلومات عن مناطق قريبة من درنة مثل (رأس التين وخليج البمبة وأبولونيا وقورينا) كما تحدث عن بنغازي وسرت، وإقليم فزان، فأورد معلومات عن غدامس ومرزق، أما المدن الغربية فقد تحدث عن (طرابلس ومصراتة وغريان ومسلاتة)[78]، وانتهت مراسلات رحلة بلاكيير[79] في أواخر عام 1811م بعد ما سلط الأضواء على أهمية مدينة درنة ومجمل مراكز الإيالة لصناع القرار في إنجلترا.

رابعاً: مقارنة بين الكتابات الفرنسية والإنجليزية عن درنة:

بعد اكتمال طرحنا للرحلات الأوروبية الاستكشافية لمدينة درنة خلال الفترة الممتدة بين عامي (1706–1811م) يمكن أن نجري مقارنة بين كتابات الرحالة في جوانب عدة، ونبدأ بالوضع السياسي حيث اتفقت أراء الرحالة الفرنسيين أن القبائل العربية في مدينة درنة ومحيطها لم تخضع للسلطة العثمانية والقرمانلية، في المقابل أغفلت مدونات الإنجليز هذا الجانب، ولم يظهر أي تناقض في كتابات الفرنسيين والإنجليز حول وصف الوضع الإداري في المدينة، فجميعهم أشار في مذكراته أن مدينة درنة هي إحدى أهم المراكز الإدارية في الإقليم ومحل إقامة باي برقة شبه الدائم خلال تلك الفترة.

وإذا ما تتبعنا الإشارات التي زودتنا بها مدونات الرحالة الفرنسيين والإنجليز عن الأوضاع الاقتصادية نجد أن معظمها متفقة في نوعية السلع وحجم رواجها، لذلك سنعرض جداول توضح السلع المحلية الرائجة والمستوردة في مدينة درنة خلال الفترة الممتدة بين عامي (1706–1811م) وهي:

جدول رقم (1) السلع التجارية المحلية الرائجة في مدينة درنة (1706–1811م):

الفواكه والخضروات والحبوب	الثروة الحيوانية	الصناعات اليدوية
العنب– الموز– التين– التمور– الليمون– البصل الأخضر– الذرة– القمح– الشعير	– الماشية: (الضأن– الماعز– الأبقار– الإبل– الخيل) – المنتجات البحرية: (الأسماك– الملح) – الألبان ومشتقاتها: (الحليب– الزبدة– السمن)	– الملابس الصوفية الملونة – مشغولات الحلي المعدنية – السلع الجلدية – شموع الإنارة – الخلّ – النبيذ[80]

تجدر الإشارة إلى أن البعض من هذه السلع كانت تغطي الاستهلاك المحلي، والفائض منها يُصدر إلى الإسكندرية وإسطنبول وكريت وسردينيا وبعض المدن الأوروبية المتوسطية الأخرى.

جدول رقم (2) السلع التجارية المستوردة إلى مدينة درنة (1706–1811م):

السلع	مصدرها
العقاقير الطبية	إنجلترا والمدن الإيطالية
الأقمشة الحريرية والقطنية	إنجلترا
الأغطية الصوفية	إنجلترا
السكر	إنجلترا والمدن الإيطالية
البن	المدن الإيطالية
مشغولات الحلي المصنعة من (الذهب–الفضة–النحاس)	البلدان المغاربية
الأدوات المصنعة من (الحديد–الرصاص)	البلدان المغاربية[81]
الرقيق	ممالك السودان الأوسط
العاج	ممالك السودان الأوسط
ريش النعام	ممالك السودان الأوسط[82]

وهنا لابد لنا من التنويه إلى أن بعض السلع المستوردة كان يعاد تصديرها بقصد الربح التجاري، وأهم تلك البضائع التي يتم تسويقها لأوروبا واردات ممالك السودان الأوسط.

ومن أهم الجوانب التي لابد لنا من عرضها ومقارنتها هي التقديرات الإحصائية لسكان مدينة درنة التي قدمتها لنا مدونات الرحالة الفرنسيين والإنجليز خلال (1733–1811م)، وهي في الجدول التالي:

جدول رقم (3) التعداد السكاني لمدينة درنة في عام 1733م و 1811م:

تعداد سكان درنة عام 1733م	تعداد سكان درنة عام 1811م	نسبة الزيادة السكانية
2000 نسمة[83]	6000 نسمة[84]	%300

ومن خلال الجدول السابق يُلاحظ أن تعداد سكان مدينة درنة قد ازداد بمعدل ثلاثة أضعاف خلال ثمانية وسبعون عاماً، وهذا يؤكد أن الفترة الممتدة ما بين عامي (1733–1811م) كانت بالفعل تخلو من الأمراض الوبائية، كذلك فإن زيادة عدد السكان في المدينة خلال تلك الفترة ربما يكون مؤشراً على استقرار الأوضاع الاقتصادية والسياسية في المدينة.

الخاتمة:

من خلال تتبعنا لكتابات ومدونات الرحالة الفرنسيين والإنجليز حول مدينة درنة خلال الفترة ما بين عامي (1706–1811م) يمكننا استخلاص النتائج الآتية:

1- إن مدينة درنة كانت تتمتع بخصائص ومقومات جغرافية وحضارية جعلتها مقصداً للرحالة والمستكشفين الأوروبيين.

2- تبيّن من خلال هذا البحث أن أول إشارة للأوروبيين حول مدينة درنة جاءت على يد الرحالة والمستكشفين الفرنسيين، فقد كان لهم السبق في اكتشاف تفاصيل مدينة درنة منذ عام 1706م على يد الرحالة الفرنسي كلود لومير.

3- لوحظ أن أغلب الأوروبيين الذين زاروا مدينة درنة أو كتبوا عنها خلال الفترة قيد الدراسة هم شخصيات دبلوماسية أو عسكرية، مما يوحي بأن هناك أهدافاً سياسية من وراء تلك الرحلات.

4- من خلال دراسة وتحليل ما كتبه الرحالة والعسكريين الأوروبيين عن درنة خلال تلك الفترة نلاحظ أن هناك تنافساً محموماً بين الفرنسيين والإنجليز للسيطرة على المدينة بفضل موقعها الجغرافي المتميز. وهذ ما أكده القبطان الإنجليزي بلاكيير، والذي أوصى في كتاباته صناع القرار في لندن بضرورة إنشاء قاعدة بحرية في درنة لحماية مصالح إنجلترا في شرق المتوسط.

5- برزت أهمية مدينة درنة استراتيجياً خلال الفترة ما بين عامي (1798–1805م) وذلك بسبب الأحداث التاريخية التي أحاطت بالمدينة، والمتمثلة في الحملات العسكرية البحرية (الفرنسية والأمريكية)، حملة نابليون بونابرت على مصر، والحرب الطرابلسية الأمريكية.

الحواشي:

1- Harry H. Johnston, **A History of The Colonization of Africa by Alien Races**, Cambridge, University Cambridge Press, 1899, P 190.

2- Charles Lucas, **The Partition and Colonization of Africa**, Oxford, Clarendon Press, 1922, P 58

3- A. Adu Boahen, **Britain the Sahara and The Western Sudan 1788-186**1, Oxford, University Oxford Press, 1964, P 45.

4- Ferdinando Borsari, **Geografia Etnologica e Storica Della Tripolitania Cirenaica e Fezzan Con Cenni Sulla Storia Di Queste Regioni e Sul Silfio Della Cirenaica**, Napoli, Libreria Editrice Luigi Pierro, 1888, P 76.

5- نجم الدين غالب الكيب، **قصة اكتشاف ليبيا في العصر الحديث**، طرابلس، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، 1979، ص ص 50–51.

6- اقتصرت معرفة الأوروبيين بمدن إقليم برقة على بعض الكتابات التي أوردتها المصادر الأوروبية القديمة التي كتبت خلال فترة ما قبل التاريخ الميلادي، مثل نصوص هيرودوت Herodoti Historiae، والكتابات الجغرافية لكلوديوس بطليموس Geography of Claudius Ptolemy، وظلت تلك المعلومات العتيقة هي مصدر المعلومات الأوروبية عن تلك المناطق؛ راجع:

N. G. Wilson, **Herodoti Historiae**, Oxford, University Oxford Press, 2015, P 156.

Claudius Ptolemy, **Geography of Claudius Ptolemy**, Translator: Edward Luther Stevenson, Introduction: Joseph Fischer, New York, The New York Public Library, 1932, P 104.

7- شكل عدم معرفة الأوروبيين بالمناطق الأفريقية بصفة عامة وبرقة على وجه الخصوص عائقاً أمام تطلعاتهم التوسعية، لذلك عملت الملكيّات الأوروبية على دعم بعض الرحّالة العرب وترجمة أعمالهم إلى لغاتهم اللاتينية، مثل رحلة (محمد الشريف الإدريسي صاحب كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) التي دعمها الملك روجر الثاني Ruggero II ملك صقلية، هذا بالإضافة إلى ترجمة بعض الرحلات العربية المستقلة التي ذاع صيتها مثل رحلة الحسن بن الوزان الزياني المعروف في الأوساط الأوروبية بـــ(ليون الأفريقي)؛ راجع:

Al- Idrisi, **Description De L`afrique Septentrionale Et Sahariemme**, Publie par: Henri Peres, Alger, La Maison Des Livres, 1957, pp 310-318.

Amin Maalouf, **Leo Africanus**, Translated by: Peter Sluglett, Chicago, New Amsterdam Books, 1992, p 158.

8- مما يستحق الذكر أن إقليم برقة خضع قسرًا للحكم العثماني وبدأ بعهده الأول منذ عام 1638، وهي الفترة التي تمت فيها السيطرة الفعلية للحملة العسكرية التي بعثها محمد الساقزلي داي طرابلس إلى مدن برقة الساحلية (بنغازي ودرنة) تباعاً، ومن ثمّ بعث الساقزلي خلال عام 1640م حملة عسكرية أخرى للسيطرة على واحة أوجلة التي كانت المركز التجاري لمنطقة واحات الجنوب البرقي؛ راجع: محمد مصطفى بازامة، **بنغازي عبر التاريخ منذ نشأتها حتى الغزو الإيطالي**، بنغازي، دار ليبيا للنشر والتوزيع، 1968، ج1/ص 251؛ مصطفى عبد العزيز الطرابلسي، **درنة الزاهرة قديماً وحديثاً**، درنة، منشورات جامعة درنة، 1999، ص 51؛ محمد محمود محمد عبيد الله، **واحة أوجلة وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، رسالة ماجستير غير منشورة، بنغازي، جامعة قاريونس، كلية الآداب- قسم التاريخ، 2005، ص ص 31-35.

9- محمد مصطفى بازامة، **تاريخ برقة في العهد العثماني الأول**، بيروت، دار الحوار، 1994، ص ص 258-259.

10- Monografia Illustrata A Cura Del: Comitato PRO-DERNA, **Derna Peria Del Mediterraneo**, Roma, Sindacato Italiano Arti Grafiche, 1929, p 5.

11- ناصر الشمري، عبد الرحيم حسين، **الملامح المعمارية والتخطيطية لمدينة درنة (المنطقة المركزية)**، بغداد، مجلة المخطط والتنمية، جامعة بغداد- مركز التخطيط الحضري والإقليمي، العدد 16، 2017، ص 131.

12- **برقة الحمراء:** هو مصطلح (جغرافي اجتماعي) يقصد به المنطقة الممتدة من ساحل بنغازي وسهل المرج في الشمال الغربي لإقليم برقة إلى امساعد شرقاً، وتعد هذه الأراضي من الناحية الاجتماعية والتاريخية مناطق نفوذ قبلي لبطون قبائل الحرابي والبراغيث الحمر والمرابطين الحمر، أما سبب التسمية فيرجع إلى لون التربة الحمراء التي تمتاز بها تلك الأجزاء من الإقليم، ويقابلها مصطلح (**برقة البيضاء**) ويقصد به المنطقة الممتدة من سلوق حتى (الوادي الحمر) شرقي سرت وما يقابلها من المناطق الجنوبية، وتسميتها ترجع إلى لون تربتها البيضاء الصحراوية؛ راجع: هنريكو دي أوغسطيني، **سكان برقة دراسة تاريخية وأنثوغرافية**، ترجمة وتقديم وتعليق: إبراهيم أحمد المهدوي، بنغازي، دار برنيتشي للكتاب، 2019، ج 1/ ص ص 60-64.

13- Buru, M. M, **A Geographical Study Of The Eastern Jebel Akhdar Cyrenaica**, Study Of Master, Durham, Durham University, 1960, p p 12-13,16.

14- Ahmed Al-Hawat, Thomas Paulek, **A Field Guide to the Geology of Cyrenaica**, Berlin, RWE, 2005, p 25.

15- مصطفى عبد العزيز الطرابلسي، المرجع السابق، ص 11.

16- امراجع محمد الخجخاج، **مدينة درنة دراسة حضرية**، بنغازي، دار الساقية، 2008، ص ص 16-17.

17- مشعل محمود فياض الجميلي، **وادي درنة في صحراء الجماهيرية الليبية**، الأنبار، المجلة العراقية لدراسات الصحراء، جامعة الأنبار- كلية التربية، العدد 2، 2008، ص78.

18- حسين مسعود أبومدينة، **الموانئ الليبية دراسة في الجغرافيا الاقتصادية**، مصراته، منشورات جامعة 7 أكتوبر، 2008، ص 98.

19- سالم محمد الزوام، **الجبل الأخضر دراسة في الجغرافيا الطبيعية**، طرابلس، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، 1984، ص ص 78-79.

20- عبد العزيز طريح شرف، **جغرافية ليبيا**، الإسكندرية، منشأة المعارف، 1971، ص 182.

21- تجدر الإشارة إلى أم هناك رحلات عربية سبقت الرحلات الفرنسية لبرقة وقدمت وصفاً للأوضاع العامة في مدنها، مثل رحلة المغربي أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي الذي مرّ بأقاليم برقة خلال رحلته للحج ذهاباً وعودة في الفترة الممتدة ما بين عامي (1661-1663م)؛ راجع: عبد الله بن محمد العياشي، **الرحلة العياشية 1661-1663م**، تحقيق وتقديم: سعيد الفاضلي، سليمان القرشي، أبو ظبي، دار السويدي، 2006، مج1/ ص ص 204-205، 215.

22- Sandro Lorenzatti, **Note Archeologiche e Topografiche Sull'itinerario de Derna a Cirene Seguito da Claude Le Maire (1705-06)**, L'Africa Romana Momenti di Continuita e Rottura: Bilancio de Trent'anni de Convegni L'Africa Romana, 18 marzo 2015, a Cura di: Paola Ruggeri, Sassari, Collana del Dipartimento di Storia, Scienze dell'Uomo e della Formazione dell'Universita Degli Studi di Sassari, p 955.

23- Ibid, p 957.

24- شارل فيرو، **الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي**، ترجمة وتحقيق وتقديم: محمد عبد الكريم الوافي، بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، 1994، ص243.

25- المصدر نفسه، ص 222.

26- في هذا الصدد تجدر الإشارة إلى أن خليل بك الأرناؤوطي كان من ضمن الوفد الطرابلسي الذي زار فرنسا خلال عام 1687م للتأكيد على معاهدات الصداقة، وهذا الوفد قام بسلسلة من الزيارات بدأت بمدينة تولوز Toulouse وحاكمها الكونت ألكسندر دي بوربون Louis Alexandre de Bourbon ابن الملك لويس الرابع عشر Louis XIV، وحملوا معهم الهدايا التي شملت الخيول البرقاوية الأصيلة، ومن الممكن أن فرنسا قد علمت بجودة خيول برقة منذ ذلك الوقت؛ راجع: المصدر السابق، ص ص 217-218.

27- Sandro Lorenzatti, Op.Cit, p 965.

28- **هنري أومونت** Henri Omont: مؤرخ فرنسي وعضو لجنة المصنفات التاريخية العلمية، وهي مؤسسة بحثية أسسها المؤرخ والسياسي الفرنسي فرانسوا جيرو Francois Giroud في 18 يوليو 1834م، ويرمز لها بـــ (CTHS) وهي اختصار لـــ (Comite des Travaux Historiques et Scientifiques)، تهدف هذه المؤسسة إلى نشر الوثائق غير المنشورة للرحالة لدعم البحث وتطوير أداء الجمعيات العلمية الفرنسية؛ راجع:

- Henri Omont, **Catalogue General des Manusecrits Francais**, Paris, Leroux, 1900, p 11.

29- Henri Omont, **Missions Archeologiques Francaise en Orient aux XVII et XVIII Siecles**, Paris, Imprimerie Nationale, 1902, p 1050.

30- Sandro Lorenzatti, Op.Cit, p 957.

31-Henri Omont, Missions Archeologiques Francaise en Orient aux XVII et XVIII Siecles, Op.Cit, p1042.

32- يقصد لومير بالقبائل البدوية في درنة بطون قبيلة العبيدات، حيث وثقت الدراسات الأنثروبولوجية (الغربية والمحلية) مناطق النفوذ القبلي لقبيلة العبيدات والتي تمتد من الجبل الأخضر بالقرب من مضارب قبيلة الحاسة في شحات حتى هضبة مارماريكا ومنها إلى السلوم شرقاً، وضمن مركز نفوذهم الاجتماعي والتاريخي بدرنة، وبحسب ما ذكر عالمي الأنثروبولوجيا: (الباحث الإيطالي الكولونيل هنريكو دي أوغسطيني، وباحث علم الأنساب الليبي محمد عبد الرازق مناع) اللذان أوردا أن بنو محارب (الحرابي) الذين ينتمي إليهم العبيدات قد بدأوا في الاستقرار في مناطق برقة الحمراء بما فيها مدينة درنة منذ منتصف القرن الحادي عشر الميلادي؛ راجع: هنريكو دي أوغسطيني، مصدر سابق، ص ص 192-196؛ محمد عبد الرازق مناع، **الأنساب العربية في ليبيا**، بنغازي، مؤسسة ناصر للثقافة، 1975، ص 208.

33- على الرغم من عدم تحديد لومير لأسماء الأسر الأندلسية التي تسكن مدينة درنة، إلا أنهم على الأغلب وبحسب بعض الدراسات الأنثروبولوجية والتاريخية هم أسر (زيتون والشواعر والإمام والمؤدب وعزوز)؛ راجع: مصطفى عبد العزيز الطرابلسي، المرجع السابق، ص 49.

34- Henri Omont, Missions Archeologiques Francaise en Orient aux XVII et XVIII Siecles, Op.Cit, pp 1037,1042.

35- Ibid, p p 1038-1043.

36- Henri Omont, Missions Archeologiques Francaise en Orient aux XVII et XVIII Siecles, Op.Cit, p 1037.

37- هيماتيون Hemation: هي عباءة يرتديها الرجال والنساء والأطفال اليونانيون منذ العصور القديمة حتى العصر الهلينستي، راجع:

Mary G. Houston, **Ancient Greek: Roman and Byzantine Costume (Dover Fashion and Costumes)**, New York, Dover Publications, 2011, p 28

38- Henri Omont, Missions Archeologiques Francaise en Orient aux XVII et XVIII Siecles, Op.Cit, pp 1040-1042

39- Ibid, p 1042.

40- Sandro Lorenzatti, Op.Cit, p 966.

41- Henri Omont, Missions Archeologiques Francaise en Orient aux XVII et XVIII Siecles, Op.Cit, pp 1043,1045

42- Sandro Lorenzatti, Op.Cit, pp 967-968.

43- **طاعون مارسيليا**: هو إحدى أكبر الكوارث الوبائية التي عصفت بفرنسا خلال تاريخها الحديث، سماه مؤرخي فرنسا بـــ (طاعون مارسيليا العظيم Grande Peste de Marseille)، كان هذا الوباء آخر حالات تفشي الطاعون الدبلي في أوروبا، ووصل إلى مدينة مارسيليا الفرنسية عام 1720م، وحصد حياة 100,000 شخص تقريباً؛ راجع:

C. Carriere, M. Courdurie, F. Rebuffat, **Marseille Ville Morte La Peste de 1720**, Clichy, Editions Jean-Michel Garcon, 1988, pp 330-331.

44- **الأب فرانسيسكو غوميز** Francisco Gomez: هو مبعوث الكنيسة الكاثوليكية في شمال أفريقيا، وهو الأسقف المسؤول على شؤون الرعايا المسيحيين في ولايات شمال أفريقيا العثمانية، حيث كان له جهود مضنية في الحد من استرقاق مسيحيين في تونس والتحسين من أوضاعهم؛ راجع:

Clara Ilham Alvarez Dubikou, **Religiosite Quotidienne: Les Familles en Tunisie a Travers les ecrits de Fray Francisco Jimenez (1720-1735)**, Nice, (CMMC) Universitaire Nice-Sofia Antipolis, 2013, pp 47-55.

45- خالد محمد الهدار، **مشاهدات الرحالة الفرنسي كلود جرانجيه في ليبيا ما بين 1733-1734م**، طرابلس، مجلة البحوث التاريخية، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، العدد 1، 2009، ص 19.

46- البارون ألفونص روسو، **الحوليات التونسية منذ الفتح العربي حتى احتلال فرنسا للجزائر**، ترجمة وتحقيق وتقديم: محمد عبد الكريم الوافي، بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، 1989، ص 173.

47- خالد محمد الهدار، المرجع السابق، ص 25.

48- **شارل ماري دي لا كوندامين** Charles Marie de La Condamine: ولد في باريس يوم 28 يناير 1701م ودرس العلوم في مدرسة College Louis-Grand المرموقة، وهو من رواد العلوم والفلك في أوروبا وله عدة رحلات علمية رائدة في مجال الفلك، حيث ارتحل إلى الشام وأمريكا الجنوبية، كما سافر إلى الأمازون وقدم أول خريطة لمنطقة غابات الأمازون، وعندما عاد إلى باريس نشر نتائج قياساته الجديدة عام 1744م، كما نشر رحلاته الاستكشافية لمناطق عديدة في أمريكا الجنوبية خلال عام 1751م، وفي 4 فبراير 1774 توفي في باريس، راجع:

C.M. de La Condamine**, Relation abregee d'un voyage fait dans l'interieur de l'Amerique meridionale Depuis la cote de la mer du sud, jusqu'aux cotes du Bresil and de la Guiane, en descendant la riviere des Amazones**, Paris, l'assemblee publique de l'Academie des sciences, 1745, pp 21-30.

49- **الحديقة الملكية للنباتات الطبية** Jardin Royal des Plantes Medicinales: وهي واحدة من أقدم المؤسسات البحثية في التاريخ الطبيعي، أسسها عالم النبات الفرنسي جي دي لا بروس Guy de La Brosse في باريس خلال عام 1626م كإحدى المؤسسات العلمية التابعة للبلاط الملكي الفرنسي، نشطت الحديقة في جمع ودراسة عينات النباتات الطبية؛ راجع:

Guy de La Brosse, **Description du Jardin Royal des Plantes Medicinales**, Paris, Hachette Livre, 2016, pp 16-20.

50- **الأكاديمية الملكية للعلوم** Academic des Sciences: هي مؤسسة علمية تأسست عام 1666م بواسطة جان بتيست كلوبير Jean-Baptiste Colbert مستشار الملك لويس الرابع عشر، تهدف هذه الأكاديمية إلى دعم وتطوير العلوم الطبيعية في فرنسا؛ راجع:

Sem-Link Pierre Gauja, **L'Academie Royale des Sciences (1666-1793),** Paris, Revue d'histoire des Sciences et de leurs applications, tome 2, N:4, 1949, p 19.

51- لمعرفة المزيد عن تفاصيل أحداث حملة يونيو 1728م الفرنسية على مدينة طرابلس؛ راجع: رودلفو ميكاكي، **طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي**، ترجمة: طه فوزي، طرابلس، دار الفرجاني، (د.ت)، ص ص45-63.

52- خالد محمد الهدار، المرجع السابق، ص 18.

53- للاطلاع على بنود معاهدة السلام بين باريس وطرابلس؛ راجع: بول ماساي، **الوضع الدولي لطرابلس الغرب نصوص المعاهدات الليبية الفرنسية إلى نهاية القرن التاسع عشر**، ترجمة: محمد مفتاح العلاقي، طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1991، ص ص 87-89.

54- مما يستحق الذكر أن إقليم برقة قد خضع للسلطة القرمانلية بعد حكمها لطرابلس بعدة سنوات، فخلال الفترة الممتدة ما بين عامي (1718-1720م) دانت المراكز البرقاوية قسراً للحكم القرمانلي بعد ما كلف أحمد باشا القرمانلي أخيه الحاج شعبان بمهمة إخضاع برقة، ليعين بعدها ابنه محمد باي كأول حاكم قرمانلي على الإقليم، راجع: محمد مصطفى بازامة، **تاريخ برقة في العهد القرمانلي**، بيروت، دار الحوار، 1994، ص ص 77-78.

55- **الأكاديمية الملكية للنقوش والفنون الجميلة** Academie des Inscriptions et Belles-Lettres: هي أكاديمية تأسست في عام 1663م بفرنسا، ومؤسسها هو أيضاً جان بتيست كولبير الذي أسس الأكاديمية الملكية للعلوم فيما بعد، تهدف هذه المؤسسة إلى العناية بالنقوش والتماثيل الأثرية، وجمع النماذج والقطع الأثرية من خارج فرنسا؛ راجع:

Jean Leclant, **Histoire des Cing Academies**, Paris, Publications de Perrin, 1995, p 68.

56- خالد محمد الهدار، المرجع السابق، ص ص 19، 24-25.

57- المرجع السابق، ص ص 25،38.

58- المرجع السابق، ص ص 40-42.

59- المرجع السابق، ص 41.

60- المرجع السابق، ص ص 40-42، 45.

61- المرجع السابق، ص 39.

62- كان الاعتقاد السائد بأن اسم ليبيا ارتبط بالتطلعات الإيطالية لاستعمار البلاد، خاصة بعد تواتر هذه المعلومات في كتابات المؤرخين الغربيين والمحليين، فيذكر المؤرخ الليبي محمد مصطفى بازامة أن أول من استخدم مصطلح (ليبيا) كمدلول جغرافي يعبر عن أقاليم (برقة وطرابلس وفزان) كان المؤرخ الإيطالي ف. مينوتيلي F. Minutelli في كتابه (بيبليوغرافيا ليبيا Bibliografia Della Libia) الصادر عام 1908م، وبناءً على ترجمة أستاذ علم الآثار الليبي خاد محمد الهدار لرحلة جرانجيه فإن أول من ذكر اسم ليبيا كتعبير جغرافي للأقاليم الليبية الثلاث كان الرحالة الفرنسي كلود جرانجيه منذ عام 1733م؛ راجع: محمد مصطفى بازامة، **ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية**، بنغازي، منشورات مكتبة قورينا، 1975، ص ص 14-16.

63- خالد محمد الهدار، المرجع السابق، ص ص 24،21، 26-27.

64- Renaud Morieux, **Anglo-French Wars and Incarceration in the Eighteenth Century**, Oxford, Oxford University Press, 2019, pp 78-79.

65- B. L. Playfaie, **Travels in the Footsteps of Bruce, London**, G. Kegan Paul and Co, 1877, pp 17,286-287.

66- Robin Hallett, **Recorrds of the African Association 1788-1831 (Royal Geographical Society Britain)**, London, T. Nelson, 1964, p 11.

67- Frederick Horneman, **The Journal Of Frederick Horneman's Travels From Cairo to Mourzuk The Capital Of The Kingdom Of Fezzan In Africa In The Years 1797-8**, London, W. Bulmer. Co, 1802, pp 40-41.

68- برزت درنة خلال الفترة الممتدة فيما بين عامي (1798-1805م) وذلك بسبب الأحداث العسكرية التي أحاطت بالمدينة من حملات بحرية (فرنسية وأمريكية)، فخلال تلك الفترة وبالتزامن مع الحملة الفرنسية على مصر أدرك نابليون بونابرت أهمية درنة كمركز بحري لتموين قواته العسكرية ومحطة اتصال بأوروبا، الأمر الذي قوبل بالرفض على المستويين الرسمي والشعبي في درنة، كل هذا أدى إلى ظهور بعض الزعامات البرقاوية التي شاركت بشكل فعلي في مقاومة القوات الفرنسية بمصر، حيث أقبل البعض من أبناء مدينة درنة وقبائل الجبل الأخضر بقيادة (محمد المهدي الدرناوي) على مصر ليساهموا بشكل فعلي في العمليات العسكرية ضد قوات نابليون في البحيرة وتحديداً في الحامية الفرنسية بمنهور، إضافة إلى ذلك بلغت القرصنة البحرية أوجها خلال حكم الأسرة القرمانلية، وبالأخص في ولاية يوسف باشا القرمانلي (1795-1832م)، ونتج عن ذلك أزمات دبلوماسية وحروب عسكرية بين إيالة طرابلس والقوى الغربية، وكانت مدينتي (درنة وطرابلس) جزءاً أصيلاً من تلك الأحداث، وأهمها الحرب البربرية الأولى First Barbary War خلال الفترة الممتدة بين عامي (1801-1805م)، حيث نزلت قوات ويليام إيتون William Eaton الأمريكية في مدينة درنة بعد ما وقعت معركة بينهم وبين بعض الأهالي الرافضين= =لوجودهم في درنة؛ ولمعرفة المزيد من تفاصيل تلك الأحداث التاريخية التي مرّت بها مدينة درنة خلال (1798-1805م)؛ راجع: محمد عبد الكريم الوافي، يوسف باشا القرمانلي والحملة الفرنسية على مصر، بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، 1998، ص ص303-304، 444-449؛ راجع كذلك:

Chipp Reid, **To the Walls of Derne: William Eaton, the Tripoli Coup, and the End of the First Barbary War**, Annapolis, Naval Institute Press, 2017, pp 194-196.

69- **معركة أبوقير**: أو كما تعرف في المصادر الإنجليزية بمعركة النيل Battle of the Nile هي معركة بحرية وقعت في الثاني من أغسطس 1798م، بين قوات البحرية الإنجليزية والأسطول الفرنسي بقيادة نابليون بونابرت Napoleon Bonaparte على شواطئ خليج أبو قير في الإسكندرية بالبحر المتوسط وانتهت بهزيمة الفرنسيين؛ راجع:

Gregory Fremont-Barnes, **(Nile 1798): Nelson's first great victory,** Oxford, Osprey Publishing, 2011, p 22.

70- هو نائب الأدميرال في البحرية الملكية البريطانية، اشتهر بأنه قائد محنك في الاستراتيجيات والتكتيكات الحربية، والتي أسفرت عن عدد من الانتصارات للبحرية البريطانية خلال حياته العملية منذ عام 1771م وحتى وفاته عام 1805م؛ راجع:

Roger Knight, **The Pursuit of Victory: The Life and Achievement of Horatio Nelson**, New York, Basic Books, 2005, pp 11-18.

71- هي معركة بحرية عرفت في المصادر الإنجليزية بـــ(Battle of Trafalgar) نشبت بين الأسطول الإنجليزي بقيادة الأميرال نيلسون ضد الأسطولين الفرنسي والإسباني المتحالفين تحت قيادة الأدميرال بيير تشارلز فيلينوف Pierre Charles Villeneuve في 21 أكتوبر 1805م بقادس Cadiz جنوب غرب إسبانيا؛ راجع:

Roy Adkins, **Nelson Trafalgar: The Battle That Changed the World**, London, Penguin Books, 2006, pp 22-26.
72- Edward Blaquiere, **Narrative of a second visit to Creece: including facts connected with the last days of Lord Byron**, extracts from correspondence, official documents, Cambridge, Cambridge University Press, 2014, pp 3-6.
73- Edward Blaquiere, **Letters Form The Mediterranean (Containing a Civil and Political Account of Sicily, Tripoly, Tunis, and Malta)**, London, Henry CO, 1813, pp 6-7.
74- Ibid, p 89.
75- Ibid, pp 2, 6, 37, 40, 46, 50, 52.
76- Ibid, pp 50,124-125.
77- Ibid, pp 34, 36-37, 60.
78- Ibid, pp 3,6,15.
79- يلزمنا السياق التاريخي إحالة خاتمة حياة إدوارد بلاكيير، فبعد انتهاء رحلته إلى سواحل إيالة طرابلس الغرب عمل كمفوض سياسي لإنجلترا، لدعم حركات الاستقلال في عدة مناطق بأوروبا، وأمريكا اللاتينية، وفي أوائل عام 1832م فقد حياته أثناء محاولته المساهمة في إنشاء ملكية دستورية في البرتغال، حيث غرقت به سفينته في منطقة جزر الأزور Azores؛ راجع:
- Edward Blaquiere, Narrative of a second visit to Creece, Op.Cit, p 7.
80- Henri Omont, Missions Archeologiques Francaise en Orient aux XVII et XVIII Siecles, Op.Cit, pp 1038-1043.
81- خالد محمد الهدار، المرجع السابق، ص ص 40-45.
82-Edward Blaquiere, Letters Form The Mediterranean, Op.Cit, pp 89, 125.
83- خالد محمد الهدار، المرجع السابق، ص 40.
84- Edward Blaquiere, Letters Form The Mediterranean, Op.Cit, p 124.

مصادر ومراجع باللغة العربية:

امراجع محمد الخجخاج، **مدينة درنة دراسة حضرية**، بنغازي، دار الساقية، 2008.

البارون ألفونص روسو، **الحوليات التونسية منذ الفتح العربي حتى احتلال فرنسا للجزائر**، ترجمة وتحقيق وتقديم: محمد عبد الكريم الوافي، بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، 1989.

بول ماساي، **الوضع الدولي لطرابلس الغرب نصوص المعاهدات الليبية الفرنسية إلى نهاية القرن التاسع عشر**، ترجمة: محمد مفتاح العلاقي، طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1991.

حسين مسعود أبومدينة، **الموانئ الليبية دراسة في الجغرافيا الاقتصادية**، مصراته، منشورات جامعة 7 أكتوبر، 2008.

خالد محمد الهدار، **مشاهدات الرحالة الفرنسي كلود جرانجيه في ليبيا ما بين 1733-1734م**، طرابلس، مجلة البحوث التاريخية، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، العدد 1، 2009.

رودلفو ميكاكي، **طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي**، ترجمة: طه فوزي، طرابلس، دار الفرجاني، (د.ت).

سالم محمد الزوام، **الجبل الأخضر دراسة في الجغرافيا الطبيعية**، طرابلس، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، 1984.

شارل فيرو، **الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي**، ترجمة وتحقيق وتقديم: محمد عبد الكريم الوافي، بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، 1994.

عبد العزيز طريح شرف، **جغرافية ليبيا**، الإسكندرية، منشأة المعارف، 1971.

عبد الله بن محمد العياشي، **الرحلة العياشية 1661-1663م**، (المجلد الأول) تحقيق وتقديم: سعيد الفاضلي، سليمان القرشي، أبوظبي، دار السويدي، 2006.

محمد عبد الرازق مناع، **الأنساب العربية في ليبيا**، بنغازي، مؤسسة ناصر للثقافة، 1975.

محمد عبد الكريم الوافي، **يوسف باشا القرمانلي والحملة الفرنسية على مصر**، بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، 1998.

محمد محمود محمد عبيد الله، **واحة أوجلة وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، رسالة ماجستير غير منشورة، بنغازي، جامعة قاريونس، كلية الآداب– قسم التاريخ، 2005.

محمد مصطفى بازامة، **بنغازي عبر التاريخ منذ نشأتها حتى الغزو الإيطالي**، (الجزء الأول) بنغازي، دار ليبيا للنشر والتوزيع، 1968.

محمد مصطفى بازامة، **تاريخ برقة في العهد العثماني الأول**، بيروت، دار الحوار، 1994.

محمد مصطفى بازامة، **تاريخ برقة في العهد القرمانلي**، بيروت، دار الحوار، 1994.

محمد مصطفى بازامة، **ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية**، بنغازي، منشورات مكتبة قورينا، 1975.

مشعل محمود فياض الجميلي، **وادي درنة في صحراء الجماهيرية الليبية**، الأنبار، المجلة العراقية لدراسات الصحراء، جامعة الأنبار– كلية التربية، العدد 2، 2008.

مصطفى عبد العزيز الطرابلسي، **درنة الزاهرة قديماً وحديثاً**، درنة، منشورات جامعة درنة، 1999.

ناصر الشمري، عبد الرحيم حسين، **الملامح المعمارية والتخطيطية لمدينة درنة (المنطقة المركزية)**، بغداد، مجلة المخطط والتنمية، جامعة بغداد– مركز التخطيط الحضري والإقليمي، العدد 16، 2017.

نجم الدين غالب الكيب، **قصة اكتشاف ليبيا في العصر الحديث**، طرابلس، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، 1979.

هنريكو دي أوغسطيني، **سكان برقة دراسة تاريخية وأثنوغرافية**، (الجزء الأول) ترجمة وتقديم وتعليق: إبراهيم أحمد المهدوي، بنغازي، دار برنيتشي للكتاب، 2019.

مصادر ومراجع بلغات أجنبية:

Al- Idrisi, **Description De L`afrique Septentrionale Et Sahariemme**, Publie par: Henri Peres, Alger, La Maison Des Livres, 1957.

Amin Maalouf, **Leo Africanus**, Translated by: Peter Sluglett, Chicago, New Amsterdam Books, 1992.

A. Adu Boahen, **Britain The Sahara And The Western Sudan 1788-186**1, Oxford, University Oxford Press, 1964.

B. L. Playfaie, **Travels in the Footsteps of Bruce, London**, G. Kegan Paul and Co, 1877

Buru, M. M, **A Geographical Study Of The Eastern Jebel Akhdar Cyrenaica**, Study Of Master, Durham, Durham University, 1960.

C. Carriere, M. Courdurie, F. Rebuffat, **Marseille Ville Morte La Peste de 1720**, Clichy, Editions Jean-Michel Garcon, 1988.

Chipp Reid, **To the Walls of Derne: William Eaton, the Tripoli Coup, and the End of the First Barbary War**, Annapolis, Naval Institute Press, 2017.

Clara Ilham Alvarez Dubikou, **Religiosite Quotidienne: Les Familles en Tunisie a Travers les ecrits de Fray Francisco Jimenez (1720-1735)**, Nice, (CMMC) Universitaire Nice-Sofia Antipolis, 2013.

C.M. de La Condamine**, Relation abregee d'un voyage fait dans l'interieur de l'Amerique meridionale Depuis la cote de la mer du sud, jusqu'aux cotes du Bresil and de la Guiane, en descendant la riviere des Amazones**, Paris, l'assemblee publique de l'Academie des sciences, 1745.

Charles Lucas, **The Partition And Colonization Of Africa**, Oxford, Clarendon Press, 1922.

Claudius Ptolemy, **Geography of Claudius Ptolemy**, Translator: Edward Luther Stevenson, Introduction: Joseph Fischer, New York, The New York Public Library, 1932.

Edward Blaquiere, **Narrative of a second visit to Creece: including facts connected with the last days of Lord Byron**, extracts from correspondence, official documents, Cambridge, Cambridge University Press, 2014.
Edward Blaquiere, **Letters Form The Mediterranean (Containing a Civil and Political Account of Sicily, Tripoly, Tunis, and Malta)**, London, Henry CO, 1813.
Ferdinando Borsari, **Geografia Etnologica e Storica Della Tripolitania Cirenaica e Fezzan Con Cenni Sulla Storia Di Queste Regioni e Sul Silfio Della Cirenaica**, Napoli, Libreria Editrice Luigi Pierro, 1888.
Frederick Horneman, **The Journal Of Frederick Horneman's Travels From Cairo to Mourzuk The Capital Of The Kingdom Of Fezzan In Africa In The Years 1797-8**, London, W. Bulmer. Co, 1802.
Gregory Fremont-Barnes, **(Nile 1798): Nelson's first great victory,** Oxford, Osprey Publishing, 2011.
Guy de La Brosse, **Description du Jardin Royal des Plantes Medicinales**, Paris, Hachette Livre, 2016.
Harry H. Johnston, **A History Of The Colonization Of Africa By Alien Races**, Cambridge, University Cambridge Press, 1899.
Henri Omont, **Catalogue General des Manusecrits Francais**, Paris, Leroux, 1900.
Henri Omont, **Missions Archeologiques Francaise en Orient aux XVII et XVIII Siecles**, Paris, Imprimerie Nationale, 1902.
Jean Leclant, **Histoire des Cing Academies**, Paris, Publications de Perrin, 1995.
Mary G. Houston, **Ancient Greek: Roman and Byzantine Costume (Dover Fashion and Costumes)**, New York, Dover Publications, 2011.
Monografia Illustrata A Cura Del: Comitato PRO-DERNA, **Derna Peria Del Mediterraneo**, Roma, Sindacato Italiano Arti Grafiche, 1929.
N. G. Wilson, **Herodoti Historiae**, Oxford, University Oxford Press, 2015.
Renaud Morieux, **Anglo-French Wars and Incarceration in the Eighteenth Century**, Oxford, Oxford University Press, 2019.
Robin Hallett, **Recorrds of the African Association 1788-1831 (Royal Geographical Society Britain)**, London, T. Nelson, 1964.
Roger Knight, **The Pursuit of Victory: The Life and Achievement of Horatio Nelson**, New York, Basic Books, 2005.
Roy Adkins, Nelson Trafalgar**: The Battle That Changed the World**, London, Penguin Books, 2006.
Sandro Lorenzatti, **Note Archeologiche e Topografiche Sull'itinerario de Derna a Cirene Seguito da Claude Le Maire (1705-06)**, L'Africa Romana Momenti di Continuita e Rottura: Bilancio de Trent'anni de Convegni L'Africa Romana, 18 marzo 2015, a Cura di: Paola Ruggeri, Sassari, Collana del Dipartimento di Storia, Scienze dell'Uomo e della Formazione dell'Universita Degli Studi di Sassari.
Sem-Link Pierre Gauja, **L'Academie Royale des Sciences (1666-1793),** Paris, Revue d'histoire des Sciences et de leurs applications, tome 2, N:4, 1949.